كلهُ الى تحسين الصحة حتى لقد يظن البعض ان الفائدة الحقيقية تحصل من هذه الامور لا من الاستحمام نفسهِ. والفائدة حاصلة مهما كان سببها

افعال الزوابع

لو استطعنا ان نرى الارض لما كان هواؤها كثيفاً حاملاً بخار الماء وبخرة كثيرة من المواد السائلة والجامدة وهو يموج بفعل الحر والبرد لرأينا فيها من الزوابع والعواصف ما يدكُّ الجبال دكًّا اما الآن وقد نظف الهواء حتى صار كالطب ما يكون فلم تعد افعالهُ بالغةً في شدتها لكنها تزيد احياناً حتى تقوى على هدم البيوت واقتلاع الاشجار واحتمال الناس والمواشي كأنهم هباء منثور. ومن الغرب ما قرأناهُ من هذا القبيل وصف الزوبعة التي حدثت في كركسفيل بامبركا الشمالية في السابع والعشرين من شهر ابريل الماضي. قال الواصف

ما الوقوف امام قضاء مبرم لا مردَّ لهُ ولا القيام في وجه وحش فغر فاهُ وشجم عليك لافتراسك بارهب من الوقوف امام الزوبعة اذا ثارت واقبلت عليك كأنها البحر الزاخر حتى لقد قال الفرسان المجرَّبون الذين شهدوا معارك القتال مراراً انهم يفضلون اقتحام حصن حصين مشحون بالمقاتلة على الوقوف امام زوبعة ثائرة

ولقد كان من نصيبي ان شاهدت زوبعة من الزوابع التي تمر بامبركا فتكتسح الارض ولا تبقي ولا تذر فانني خرجت من بيتي في السابع والعشرين من شهر ابريل الماضي لاضع كتاباً في صندوق البريد. وكان الحرُّ اللافح والبرد القارس يتعاقبان من اول النهار. والسحب تسير في السماء سوداء قاتمة. والامطار تقع شآبيب تخللها دقائق صحو تسطع فيها اشعة الشمس. والرياح تهبُّ ثم تهجع على التوالي كأن الطبيعة كلها تتململ وتتمخض متوقعةً شراً عظيماً

ولما خرجت من البيت كانت الشمس قد غابت وكان المطر يقع رذاذاً ولم اكد اخرج من الباب حتى سمعت صوتاً كدوي الرعد من الجهة الغربية الجنوبية وكان البيت في مرتفع من الارض يطل على ما حوله فرأيت في جهة الافق سحابة من الرواعد سوداء قاتمة وتحتها اعصار يسير ماحقاً ويسرع نحوي وهو يزأر زئيراً متواصلاً كأنهُ قطار من قطارات سكك الحديد ثم ظهر لي كأنهُ ترك السحابة فوقهُ وجرى وحدهُ جرياً حثيثاً وهو يدور على نفسهِ كحجر الرحى فعدت الى البيت ودعوت زوجتي واولادي ليهربوا حالاً والاَّ سُدَّت في وجوههم ابواب النجاة فخرجوا من البيت وجاؤوا الى ساحة غربيهِ واقاموا بجانب شجرات كبيرات والتفتُّ الى السحابة

واذا هي قد انتشرت حتى غطّت الافق امامي وكثر تراسل البروق في انحائها

وكانت امي تسكن بيتاً مقابلاً لبيتي فاسرعت اليها والتفت الى البيت واذا هي واقفة امام كوة تطل الى جهة الجنوب ناظرة الى الزوبعة بعين الدهشة فناديتها باعلى صوتي مراراً وهي واقفة كالصنم لا تتحرك ولما عيل صبري سمعت صوتاً شديداً كأنّ مدفعاً أُطلق بجانبي فعادت امي الى نفسها وادركت الخطر الذي هي فيهِ وخرجت من البيت هي وبناتها وخادمتها وحدث ذلك كلهُ في اقل من ربع دقيقة. وحينئذٍ تغيرت جهة مسير الزوبعة فمالت الى الشمال الغربي ومرّت فوق حي من احياء المدينة يسكنهُ التلامذة والعمال . فناديت زوجتي وقلت لها كلي الجراحين بالتلفون واخبريهم بما ترين لان الناس كانوا حينئذٍ يتناولون العشاء غير منتبهين الى شيء. ثم سرت مسرعاً الى الجهة الشرقية لأرى فعل الزوبعة فوجدت ان نطاقها قد اتّسع جداً فغطت السماء كلها من سمت الراس الى الافق . ودخلت الجانب الآهل من المدينة وجعلت تمزق البيوت تمزيقاً فتهدّمت اذنياي من صعقاتها وارتجفت الارض تحت قدميّ وامتلأ الهواء بالحطام فكنت ارى فيهِ ابواباً وشبابيك وسقوفاً بل بيوتاً كاملة طائرة وهي تدور على نفسها وتعلو مئات من الاقدام ورأيت فيهِ عجل مركبة ورجلين طائرين ورأيت بيتاً طار حتى علا مئة قدم ثم تقطّع وتمزق وتفرقت قطعهُ شذر مذر وامتزجت بغيرها من الحطام المتطايرة

وقطعتُ الشارع كلهُ ولم ارَ احداً من الناس ولما بلغت نهايتهُ رأيت تبناً كبيراً في الجهة الشرقية يقتلع البيوت من اساسها وهو يزأر ويرعد فوقفتُ امامهُ الى ان غادر المدينة وسار الى اماكن اخرى يجرُّ اذيال التخريب والتدمير ولما بلغت المكان الذي سار فيهِ وبسط الخراب عليهِ سمعتُ اصواتاً تفتت الاكباد سمعتُ انين الجرحى ورأيتهم يخرجون من تحت الانقاض مكسّرين محطمين خضّبتهم الدماء وعفّرتهم الاتربة واول من وقع نظري عليهِ منهم امرأة مضرّجة بالدماء وبيدها طفل جُرح وجههُ جرحاً بالغاً فقلت لها هل اصابك الم كثير فقالت كلاَّ ولكن قُتل زوجي واولادي فقلت لها اين كان بيتك. قالت هناك واشارت الى كومة من القرميد والاخشاب

واقبل الناس من جانب آخر من المدينة حيث لم تمرَّ الزوبعة وبينهم الجرّاحون والتجار والصيارفة والاساتذة والتلامذة والصنّاع على اختلاف مراتبهم اقبلوا مسرعين ليساعدوا الجرحى ويخرجوا الناس من تحت الردم فرأوا الاحياء يولولون ويستغيثون وهم يفركون ايديهم طالبين ان نساعدهم على انقاذ ذويهم. واول من نجيتهُ من أولئك المساكين فتاة وقعت عليها الانقاض وكسرت ظهرها فاخرجتها من تحت الردم ووضعتها على فراش وجدتهُ هناك ثم نجيت اولاداً

صغاراً قتل ابوهم وهو من مدينة نيويورك . وفعل غيري فعلي وساعدني البعض فاخرجنا رجلاً من تحت الردم كان مهشماً في رأسه ويديه ورجليه ووضعناه على فراش فاشار الى كومة من الانقاض وقال زوجتي هناك تخلصوها فتشنا عنها ولم نجدها وعدنا الى كومة اخرى من الانقاض فوجدناها فيها وقد شق رأسها ووجدنا دجاجة تحت ابطها كأنها كانت تحملها وهي حية . وشفي زوجها بعد حين وسألته عن الدجاجة التي وجدناها تحت ابط زوجته فقال لم يكن عندنا دجاج والظاهر ان الزوبعة اتت بها والتهتها تحت ابطها او مزجتهما معاً كما مزجت بين اشياء كثيرة

ووجدنا رجلاً شهماً قتل وهو قابض على محفظة صغيرة فيها اوراق قيمتها تسع مئة ريال وامرأته مقتولة بجانبه ومعها الفان وخمس مئة ريال . وبالقرب منها جثة امرأة وبيدها طفلها وهو ميت مثلها . ووجدت امرأة أخرى ميتة وبيدها طفل لم يزل حياً فاخرج من تحت الردم تبسم في وجه منجيه كأنه يشكره على نجاته

ولم تمض نصف ساعة من حين عبرت الزوبعة حتى اسود الافق وهطلت الامطار مطلاً غزيراً وعصفت الرياح حتى خاف الرجال الذين كانوا يساعدون الجرحى وفرّ الشبان منهم الى الاسراب والسراديب لئلا يؤخذوا بزوبعة أخرى اما الكهول والشيوخ فكانوا يظنون ان الزوبعة لا تعود بعد ذهابها . ولما اطر ثيابنا الى الجلد وكان الجرحى الذين انقذناهم مطروحين في العراء على الحصى والابواب ونحن ننتظر من يأتينا بمحفات يحملون بها لانه كان يستحيل مرور المركبات من كثرة الانقاض . وخيم الليل وكانت الزوبعة قد قطعت اسلاك الكهربائية فامسى ذلك الجانب من المدينة في ظلام دامس ولما رأيت ذلك قلت لواحد من الشبان اذهب الى المدينة والتنا بكل الفوانيس التي تجدها فيها ففعل واتانا باثني عشر فانوساً فاستعنا بها على التفتيش عن الجرحى وكانت النار قد شبت في بعض البيوت المهدومة وخفنا من اتصالها الى غيرها فعم المدينة كلها لا سيما وان الرياح كانت تعصف شديداً لكن شركة اطفاء الحريق كانت مستيقظة فساعدت الامطار على اخمادها ومنع انتشارها

وبالله من ليل ذقنا فيه الشدائد انا وكل الذين كانوا ينتشلون عن الاحياء بين القتلى ولما بزغ الفجر رأينا ما اخفاه الظلام عن عيوننا رأينا مناظر تقشعر لها الابدان وتتقطع عليها المرائر رأينا الجرحى والقتلى والانقاض المتراكمة مختلطة اختلاط الجاهل بالفاضل ولما دخلت الزوبعة المدينة كانت ضيقة لا تزيد سعتها على مئة متر ولكنها اتسعت رويداً رويداً بمرورها فيها ولم تبق ولم تذر حتى انها كانت تقلع الاشجار من جذورها او تقصفها من وسطها قصفاً وتمر على النبات الصغير فتحصده حصداً وتسحب الاخشاب الكبيرة من البيوت وترشق بها الارض فتغور فيها اقداماً كثيرة

ومن الغرائب التي شاهدناها بعد الزوبعة شعر امرأة رأيناهُ عالقاً براس شجرة عالية ولم نرَ جثتها كأنَّ الزوبعة حملتها وطارت بها فعلق شعرها باعلى الشجرة فانتزع من راسها بجملته. ووجدت اوراق ومكاتيب اوصلتها الزوبعة الى ولاية ايوى على مئة ميل من كركنيل . ومرَّ لوح حديد على رقبة امرأة فقطع راسها. وقُتل كثيرون باخشاب رشقتهم الزوبعة بها فنفذت في ابدانهم كالسهام . وحملت الزوبعة امرأتين وولداً وسارت بهم ربع ميل والقتهم في ساحة المدينة سالمين لكن جُرح راس الولد وكسرت يد احدى المرأتين اما المرأة الاخرى فلم تصب بمكروه وقالت لسائل "اني رأيت نفسي طائرة وعلمتُ ذلك ولكنني استطلتُ الوقتَ جداً ودارت بي الزوبعة مراراً ورفعتني فوق كنيسة الكاثوليك وابعدت بي كثيراً ثم ردتني. وطلبتُ من الله حينئذٍ ان ينجيني ولو كنت محمولة على اجنحة الرياح فسمع صوتي ونجاني . ولما كنت محمولة في الجو رأيت حصاناً ابيض طائراً حولي وعدتهُ عليهِ وكان يرفس برجليهِ وهو طائر كأنهُ يحاول النجاة مما هو فيهِ فعلمت انهُ حيٌّ وخفت ان يصل اليَّ و يرفسني لكنني نجوت ونزلت الى الارض بالتجربة من السماء"

وقال الولد انهُ رأى الحصان وهو طائر في الزوبعة وخاف ان تصل حوافرهُ اليهِ

والحصان لرجل اسمهُ تشي وكان مع حصان آخر في اسطبل فانَّ سائقهما ادخلهما الاسطبل مسرجين وهو ينتظر انقطاع المطر ليعود بهما الى المركبة فاتت الزوبعة وقتلت الحصان الواحد وطارت بالآخر ورآهُ كثيرون طائراً وعلت بهِ الزوبعة مرةً فوق قبة الكنيسة لكنها انزلتهُ الى الارض سالماً . ورأى كثيرون خيولاً اخرى طائرة فقد ثبت انهُ طار من كركنيل وحدها خمسة احصنة وكثير من الحيوانات الأخرى ومن ذلك حصان لرجل اسمهُ كلفن لما قُتل هو وزوجتهُ وحملت الزوبعة حصانهما والقتهُ سالماً في مكان يبعد عن بيتهما ميلين ومنها ثلاثة احصنة وجدت مقتولة خارج المدينة . وحملت الزوبعة رجلاً من داريتهِ والقتهُ في داريت جارهِ وحدث ذلك في لحة نصر. وحملت سقوف البيوت التي من التوتيا وضربت بها الاشجار فلفتها حول جذوعها لفاً حتى تعذَّر نزعها منها

وكان في طريق الزوبعة بحيرات صناعية فامتصت ماءها كلهُ وامتصت الماء من آبار عمقها ثلاثون او اربعون قدماً

ولا يعلم مصدر هذه الزوبعة حتى الآن و يظن البعض انهُ على ثلاثة اميال من المدينة و يظن غيرهم انهُ على خمسين ميلاً منها . وقد قدَّرتُ سرعتها ثمانين ميلاً في الساعة لكن غيري قدَّرها ستين ميلاً فقط